﴿*مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: 55]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

استعمالُ الأقيسةِ والتشبيهات من أنجعِ طرائقِ الاستدلال وأنفعِها

لَمَّا أتمَّ في الآيات السابقةِ ذِكْرَ خلقِ الأرضِ ومنافعها؛ استدعى ذلك إكمالَ ذِكرِ المهمِّ للناس من أحوالها، فكان خلقُ أصلِ الإنسان من الأرض شبيهًا بخروجِ النَّباتِ منها، وإخراجُ النَّاس إلى الحشر شبيهًا بإخراجِ النَّبات من الأرض[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿نُعِيدُكُمْ﴾: (عود) أَصْلٌ يَدُلُّ على تَثْنِيَةٍ في الأَمرِ، ومنه العَوْدُ، قالَ الخَليلُ: هو تَثْنِيَةُ الأَمرِ عَوْدًا بَعْدَ بَدْءٍ، تَقولُ: بَدَأَ، ثُمَّ عادَ، والعَوْدَةُ: المَرَّةُ الواحِدَةُ[2]، والعَوْدُ أيضًا: الرُّجوعُ إلى الشَّيء بعد الانصراف عنه إمَّا انصرافًا بالذَّات، أو بالقَول والعَزيمة[3]، والمَعادُ: المصيرُ والمرجعُ، والآخرةُ مَعادُ الخَلْقِ[4]، والمرادُ بالعَوْدِ في الآية: الرُّجوعُ إِلَى شَيْءٍ بَعْدَ مُفارَقَتِه.

2) ﴿نُخْرِجُكُمْ﴾: (خرج) أَصْلٌ يدُلُّ على النَّفاذِ عن الشَّيْءِ، يُقالُ: خَرَجَ يَخْرُجُ خُروجًا، والخُراجُ بالجَسَدِ، والخَراجُ والخَرْجُ: الإتاوةُ؛ لأَنَّهُ مالٌ يُخْرِجُهُ المُعْطي[5]، الخُروجُ: اسمٌ من أَسماء يوم القيامةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: 42]، أَي: يَوْم يُبْعَثونَ، فيَخْرُجون من الأَرْض[6]، والخُروجُ أيضًا: البُروزُ والظُّهورُ،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 240.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عود).
(3) الراغب، المفردات: (عود).
(4) الجوهري، الصحاح: (عود).
(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (خرج).
(6) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (خرج).

ومنه سُمّي الخوارجُ بذلك؛ لِخُروجِهم على النَّاسِ[1]، والمُرادُ بالخُروج في الآية: هو إِخْراجُ الخَلْقِ إِلَى الحَشْرِ بَعْدَ إِعادَةِ هَياكِلِ أَجْسامِهم في داخِلِ الأَرْضِ[2].

3) ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾: التَّارَةُ: الحينُ والمَرَّة، وجَمعُها تاراتٌ، وأَصْلُ أَلِفِها الواوُ، وقالَ ابنُ الأَعْرابيِّ: أَصْلُ أَلِفِها هَمزَةٌ، فلَمَّا كَثُرَ اسْتِعْمالُهُم لَها؛ تَرَكوا الهَمزَةَ، وقالَ بَعْضُهُم: ظَهَرَ الهَمزُ في جَمعِها على فِعَلٍ، فقالوا: تِئَرٌ بالهَمزِ[3]، ومِنْهُ يُقالُ: أَتْأَرْتُ النَّظَرَ إِليه، أَي: أَدمته تارَةً بَعْدَ تارةٍ، وأَتَرْتُ الشَّيءَ: جِئْتُ به تارَةً أُخرى، أَي: مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ[4]، ويَظْهَرُ أَنَّها اسْمٌ جامِدٌ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ مُشْتَقٌّ مِنْهُ[5]، وقيل: أصلُهُ من: تارَ الجُرحُ: التَأَمَ[6]، والمُرادُ بالتَّارَةِ في الآية: المَرَّةُ المُتَكَرِّرَةُ، أو كلُّ فِعلَةٍ مُتجدِّدةٍ.

❁ المَعْنى الإِجْماليُّ:

يُخبرُ الحقُّ سبحانه أنَّ هذه الأرضَ منها خُلِقَ الإنسانُ، وإليها يعودُ، ومنها يُبعث للحساب يومَ القيامة، فقال تعالى: مِن تُرابِ الأرضِ خَلَقْنا - أيُّها النَّاسُ - أباكم آدَمَ الَّذي هو أصلُكم، وأنتم ذريَّتُهُ، وفي الأرضِ نُعيدُكم بعدَ مَوتِكم، وتَصيرونَ تُرابًا في قُبورِكم، كما كنتُم قبل إنشائِنا لكم بشرًا سَويًّا، ومِن الأرضِ نَبعَثُكم أحياءً مرَّةً أُخرَى، كما كنتُم قَبلَ مَماتِكم أحياءً، فنُنشِئُكم منها، كما أنشَأناكم أوَّلَ مَرَّةٍ، فتَخرُجونَ منها يومَ القيامةِ للحِسابِ والجَزاءِ[7].

الإنسانُ ابنُ هذه الأرضِ، منها خُلِقَ، وإليها يعودُ، ومنها يخرج تارةً أخرى

(1) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (خرج).
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 241.
(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (تور)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 241.
(4) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (تور).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 16/ 241.
(6) الراغب، المفردات: (تارة).
(7) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 87، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 11/ 211، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 507.

والغرضُ من الآية هنا تنزيهُ الرَّبِّ نفسَهُ، وتذكيرُ فرعونَ بأصله، وأنَّه مِن ترابٍ عائدٌ إليه، فلا يغترُّ بدنياه ومُلكِه، وليعلمَ أنَّ أمامَهُ يومًا شديدَ الأهوال، يُسأل فيه عن كلِّ شيءٍ، ويُحاسب على أعماله.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ الجملة عمَّا قبلَها:

التباينُ المعنويُّ من كمال الانقطاعِ الموجبِ للفصل

لم يَقُلْ في السياق الكريم: (جعلَ لكم الأرضَ مهدًا، ومنها خلقناكم)؛ لأنَّ الخلقَ المذكورَ مغايرٌ للجعلِ المذكور قبلَهُ في النوع، والتغايرُ من كمال الانقطاع الموجبِ للفصل وتركِ العطف[1].

براعةُ الاتِّساق السّياقي:

خروجُ الأمواتِ بالبعثِ أهونُ من إخراج النباتِ من عدم

ذِكْرُ قولِه تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ بعد ذِكْرِ النَّبات وإخراجِه من الأرض قد تضمَّن كلَّ إخراجِ أجسامٍ لطيفةٍ من التُّربَةِ الكثيفة، وخروجُ الأمواتِ أشبهُ شيءٍ بخروج النَّبات هذا[2].

دلالةُ تقديمِ شبه الجملة:

محلُّ الامتنانِ والنِّعمةِ أحقُّ بالتقديم

قدَّمَ الجارَّ والمجرور في قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾؛ للاهتمام والعناية لِوجْه الارتباط بما قبلَهُ، فمَدارُ الكلام على الأرضِ، فكان ضميرُها أحقَّ بالتقديم؛ لأنَّها محلُّ الامتنانِ والنِّعمة، ولإفادة الحصرِ الإضافيِّ، أي: لم نخلقكم إلَّا من تراب الأرضِ مع النُّطفةِ.

معنى (من):

مجيءُ (مِنْ) قد يفيدُ الابتداءَ أو التَّبعيض

(من) في قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ﴾ للابتداء، أي: بدأَ خلقكم منها، ويؤيِّده قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧﴾ [السجدة: 7]، ويمكنُ أن تفيد التَّبعيضَ على معنى:

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 370.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 520.

أنَّ اللَّه خلقَ الإنسان من بعض تراب الأرض، وفي هذا بيانٌ آخرُ، وإضافةٌ نوعيَّةٌ للأرض.

دلالةُ التَّعبيرِ بالماضي في: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾:

تنزيلُ مُنْتَظَرِ الوقوعِ منزلةَ الواقعِ

التَّعبيرُ بالماضي في قوله: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾، ولم يقل: (نخلقكم)؛ لتغليبِ الموجودِ على المعدوم، أو لتنزيلِ منتظرِ الوقوع منزلةَ الواقع[1].

دلالةُ الخطابِ بالجمع في: ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾:

خطابُ الأفرادِ بعموم الجنسِ

الخطابُ في قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ خطابٌ للأفراد بعموم الجنسِ، أي: خلقناكم ضِمنَ خَلْقِ أبيكم آدمَ ﷺ منها، فكلُّ فردٍ من أفرادِ البشر له حظٌّ من خلقِه ﷺ إذْ لم تكن فِطرتُهُ البديعة مقصورةً على نفسه ﷺ بل كانت أنموذجًا منطويًا على فطرةِ سائرِ أفراد الجنس انطواءً إجماليًّا مستَتْبِعًا لجريانِ آثارها على الكلِّ، فكان خلقُهُ ﷺ منها خلْقًا للكلِّ منها[2].

مجازُ الحذفِ في ﴿خَلَقْنَـٰكُمْ﴾:

المجازُ بحذف المضافِ بإسنادِ ما للمضافِ إلى المضاف إليه

معنى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾، أي: ابتدَأْنا خلْقَكم من ترابٍ، فيكونُ إسنادُ الخلقِ إليهم مجازًا، والمرادُ خلَقْنا أوَّلَكم وأصْلَكم، فالكلامُ على حذْفِ مضافٍ مجازٌ بالحذف[3].

المجازُ العقليُّ في إسناد الخلقِ للمفعول:

الإسنادُ إلى غيرِ المفعولِ الحقيقيِّ

إسنادُ الخَلق إلى المخاطبين في قوله: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَـٰكُمْ﴾ مجازٌ عقليٌّ، بإسناد الفعل إلى غيرِ مفعوله الحقيقيِّ؛ لأنَّ الذي خُلِق من الأرض هو أوَّل آبائهم - آدم ﷺ - وليس هم[4].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 370.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 520.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 370.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 370.

عمومُ المجازِ:

الجمعُ بين الحقيقةِ والمجازِ

قولُهُ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ﴾ يُرادُ به الأصلُ، وهو آدمُ ﷺ، ويرادُ به الفرعُ (الذريَّة)؛ على معنى أنَّ النُّطفَ متكوِّنةٌ من الغذاءِ من الأرض، فيُرادُ المعنيان الحقيقي والمجازي، على طريقة الجمع بين الحقيقةِ والمجازِ أو عمومِ المجازِ[1].

مجازُ المجازِ في عودِ الضَّميرِ:

التَّوسُّلُ للمعنى الحقيقي بواسطتين مجازيَّتين

الضَّميرُ في قوله: ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ للمخاطَبين جرى على أنَّ خَلْقَهُم من الأرض بمعنى الواسِطة، من خلال أمرين: الأغذيةِ التي تتولَّدُ مِنَ الأرض، ثمَّ الأخلاطِ المتولِّدة من هذه الأغذية، فأَنْتَجَتِ النُّطفةَ التي تولَّد منها الإنسانُ، فهما معنيان مجازيَّان لِلخَلْقِ من الأرض، وهو من باب مجازِ المجازِ، أي: الجمعُ بين معنيين مجازيَّين[2].

إيثارُ حرفِ الوعاءِ على حرف الانتهاء:

ضمَّةُ الأرضِ مَثْوانا

إيثارُ حرف الوعاء على حرف الانتهاءِ في قوله: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾، ولم يقل: (وإليها نعيدُكم)؛ للدَّلالة على الاستقرارِ المديدِ فيها، وعلى اشتمالها عليهم اشتمالَ الظرفِ على المظروف، وأمَّا (إليها نعيدكم)؛ فلا يدلُّ على التخلُّل داخلها والدَّفْنِ فيها[3].

دلالةُ القصرِ في تقديم أشباه الجُمَلِ:

الأرضُ صاحِبَتُنا من الميلاد إلى المَعاد

تقديمُ أشباه الجملِ في قوله: ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ للاهتمام والقصرِ الحقيقيِّ، أي: لا نعيدُكم إلَّا فيها، ولا نخرجكم إلَّا منها.

فائدةُ تقييدِ الإخراج بـ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾:

التَّارةُ تفيدُ التَّكرارَ المُغايرَ، والمرَّة تُفيد التَّكرار المغاير والموافق

كونُ هذا الإخراجِ مُقَيَّدًا بأنَّه ﴿تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ باعتبار أن خَلْقَهُم من

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 12/ 370.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 7/ 344.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 22.

الأرض إخراجٌ لهم منها، وإن لم يكن على نهْجِ التارةِ الثانية، ولذا لم يقل: (مرَّةً أخرى)؛ لأنَّ التَّارة هي المرَّةُ المغايرة للمرَّةِ الأولى[1]، فتفيد التَّكرار المُغايرَ، وأمَّا المرَّةُ الأخرى؛ فقد تفيدُ التكرارَ المغايرَ والموافِقَ، والتَّارة في الأصل: اسمٌ للتَّوْر الواحد، وهو الجرَيانُ، ثمَّ أُطلق على كلِّ فعْلةٍ واحدةٍ من الفَعَلات المتجدِّدة كما مرَّ في المرة[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإخراج والبعث:

البعثُ تُلمَحُ فيه الإثارةُ والتحفيزُ وقوَّةُ التَّوجُّه

الإخراجُ: هو إنفاذُ الشَّيءِ مِنْ داخِلٍ كان فيه، أو بعد إيجادِه فيه، فالأوَّلُ كإخراج الشَّيءِ من صندوقٍ كان فيه، والثاني كإخراج النَّبْتِ مِنَ التُّربةِ بعد إيجاد بذرته في داخلها، وأمَّا البعث: فهو إثارةُ الشَّيءِ وتحريكُهُ إلى وِجْهَتِه، والفرقُ بينهما: أنَّ البعثَ فيه استفزازٌ واستثارة وهو يشتمل على دفْعٍ مُتوالٍ بقوَّةٍ، فليس فيه تؤدةٌ أو تباطؤٌ، والإخراجُ هو إنفاذُ الشَّيءِ، ففيه نوعُ إثارةٍ وتحريكٍ، لكنَّهُ اعتياديٌّ مُطلق، فليس فيه التحفيزُ الذي يكونُ في البعث إلَّا بالتقييد، فيقال: أخرجتُهُ بقوَّةٍ أو باستثارةٍ واستفزاز، كقوله: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43]، فلمَّا عَبَّرَ عن البعث بالخروج؛ قَيَّده بـ﴿سِرَاعًا﴾ [المعارج: 43]، ولذا قال: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ﴾؛ لأنَّهُ خروجٌ هادئٌ بطيء[3].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 29/ 313.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 22.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (بعث - خرج).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»